المنار
١٣١٥
فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب
يهدي الله من شاء الى صراط مستقيم
(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و منارا كمنار الطريق)
(مصرف يوم الاحد غرة جمادى الثانية سنة ١٣١٩ — ١٥ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠١)

الرجال والنساء

من أغوى الآخر في الشرق واوربا : اصلاح الاسلام للنساء : تمنى الاوربيات
تعدد الزوجات : الاختلاط ومضرته : عاقبة الامر في اوربا والمسلمين

« الرجالُ قوّامونَ على النساءِ بما فضّلَ اللهُ بعضَهم على بعضٍ وبما انفقُوا مِن أموالِهم » * « ولَهنَّ مِثْلُ الذي عليهنَّ بالمعْرُوفِ وللرِّجالِ عليهنَّ دَرَجَةٌ »

هذا ما قاله فاطر السموات والارض وما فيهن وشارع دين الفطرة ليبلغ به عباده الكمال ، من النساء والرجال ، وقد دل العلم وشهد التاريخ على ان ما ارشد اليه الكتاب العزيز من قيام الرجال وسيادتهم على النساء هو الحق الواقع والفطرة الصحيحة ولكن الرجال ظلموا وأساؤا فى هذه الكفالة والسيادة فاستعبدوا النساء ووأدوا البنات (دفنوهنَّ احياء) ولولا حاجتهن اليهن لأفنوا النوع الانسانى بإفنائهن وما وجدت شريعة ولا ديانة أنصفت النساء واعطت كلاً من الرجل والمرأة حقه الا ديانة الاسلام

الحقة وشريعته العادلة ولكن المسلمين مارعوها حق رعايتها فمنهم من وفّى فوفّى اجره وكثير منهم فاسقون

بيّن الله تعالى ان للمرأة على الرجل من الحقوق مثل الذي له عليها بالمعروف وانه لا يمتاز الا بالولاية ورياسة المنزل لان البيوت نموذج الامة فكما ان الامة لا ينتظم امرها الا برئيس عادل كذلك البيت (العائلة) لا بدّ له من رئيس له السيطرة والقيام بالشؤن العامة

ولما كان الاسلام مبنياً على قاعدتي الاستقلال بالفكر والاستقلال بالارادة وشريعته مبنية على المساواة والعدالة ومن مقتضى القاعدة الاولى ان يعرف الانسان الحق بدليله لتنبعث اليه ارادته بنفسها لانه الحق النافع في علم صاحبها بيّن الله تعالى لنا بفضله المرجّح لكون الرجل هو القيم على المرأة وهو تفضيله بنحو القوة والقدرة على الحماية والكسب وهذا مرجّحٌ فطري طبيعي وانفاقه المال في المهر وغيره وهذا مرجّح اجتماعيّ عقلي والشريعة الاسلامية موافقة دائماً للفطرة الالهية ومطابقة للمصالح الاجتماعية ومؤيدة بالدلائل العقلية

عرف في سيرة البشر ان القوة تعتدي دائماً على الحق وتهضمه وقد كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم اعرف الناس بسنن الله تعالى في الناس ولهذا كان يكرر الوصية بالنساء والارقاء وهو في حالة النزع وسكرات الموت كما كان ينهى عن تعظيم قبره وقبور الانبياء والصلحاء لان ما يوصي به في هذه الحالة لا بد ان يعتني به متبعوه أشد الاعتناء لما للكلام حينئذ من التأثير ولانه من المعلوم بالبداهة ان الانسان لا يهتم عند الموت الا باهم الامور . ولا شك انه عليه الصلاة

والسلام كان عالماً بأن اعظم فتنة تستقبل امته من طريق الاعتقاد والعبادة تعظيم القبور والتماس المنافع ودفع المضار بواسطة الانبياء والصلحاء واعظم فتنة تعرض لهم فى شؤنهم الاجتماعية النساء بل ورد التصريح بهذه الفتنة وكذلك كان في الامرين

انما كان النساء فتنة بترك الرجال مساواتهم بأنفسهم فى الحقوق الاجتماعية والادبية واهمال فريضة القيام عليهن فقد جعلت الشريعة لكل امرأة قيما فأبوها وهو القيم الاول يتركها سدًى تلعب بها الخرافات والاوهام ، ويغويها السفهاء والطغام ، ثم تصير الى القيم الثانى وهو الزوج فيأكل مالها ان كان لها مال ، ولا يساويها بنفسه فى حال من الاحوال ، ولقد كان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يقول : انى لأتزين لزوجى كما تتزين لى لقوله تعالى « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف » ثم اذا مات زوجها وصارت الى قيم ثالث فى آخر حياتها يكون مآلها شر مآل ، ولو كان هذا القيم ابنها الذى لم تحسن تربيته لانها هى واباه لم يكونا متربين ولا مهذبين

هذا القيام للرجال على النساء قد خصته الشريعة بالامور الاجتماعية فليس للمرأة حق ان تسافر الا مع ذى محرم واذا كانت متزوجة فلا بد من اذن الزوج ورضاه ولو الى الحج . واعطت للمرأة الحق فى التصرف فى مالها وليس للزوج ولا لغيره من القوام ان يأخذ من مالها دانقاً بغير رضاها فتصرف المسلمون بأموال النساء وأكلوها اسرافاً بغير حق وتركوا حبالهن على غواربهن فيما هو موكول اليهم فطفقن يسرحن ويمرحن ويتبرجن تبرج الجاهلية الاولى وتركن الصلاة ومنعن الزكاة

وعصين الله ورسوله ثم عصين الازواج والذنب فى هذا كله على الرجال

يشكو بعض الرجال فى هذه البلاد من تهتك النساء وفساد اخلاقهن وما افسدهن الا الرجال فالمرأة بمقتضى الفطرة والطبيعة اقرب الى الحياء والعفة وابعد من المجون والخضوع للشهوة ولكن هؤلاء الرجال الظالمين الضالين المضلين هم الذين يغوونهن ثم يشكون منهن وينسبون اليهن كل غواية وفساد محتجين بقول المثل الفرنساوى « ابحثوا عن المرأة »

بحثنا وسألنا الباحثين فالفينا الرجال فى الاسواق والشوارع يتعرضون لمنازلة النساء ولا يذاتهن بالقول والفعل ووجدنا اكثرهن لا يلتفتن لاكثرهم . رأينا هذا ونحن نعلم ان الرجال اكثر علماً بامور الدين وامور الدنيا واكثر شغلا وعملاً فما اغنى عنهم علمهم ولا اعمالهم فكيف يكون الحال لو كانت اقدتهم هوآء كأفئدة النساء ، فان المرأة عندنا لا تتعلم شيئاً يشغل فكرها عن تدبير الحيل لاجابة داعي الطبيعة ولا تتربى على ملكات فاضلة تقف بالقوى الحيوانية عند حدود الاعتدال وليس لها اعمال شاقة تصرف النفس عن هذه الدواعي وهى مع هذا كله اقرب من الرجل الى العفة والنزاهة

لما تنبه اهل اوربا الى اصلاح شؤنهم الاجتماعية وترقية معيشتهم المدنية اعتنوا بتربية النساء وتعليمهن فكان لذلك اثر عظيم فى ترقيتهم وتقدمهم ولكن المرأة لا تبلغ كمالها الا بالتربية الاسلامية واعني بالاسلامية ما جاء به الاسلام لا ما عليه المسلمون اليوم ولا قبل اليوم بقرون فقد قلت آنفاً إنهم ما رعوا تعاليم دينهم حق رعايتها . ولهذا وجدت مع التربية الاوربية

للنساء جراثيم الفساد ونمت هذه الجراثيم فتولدت منها الادواء الاجتماعية والامراض المدنية وقد ظهر اثرها بشدة في الدولة السابقة اليها وهي فرنسا فضعف نسلها وقلت مواليدها قلة تهدّدها بالانقراض والذنب في ذلك على الرجال

حذِرَ من مغبة هذه الامراض العقلاء ، وحذّر من عواقبه الكتاب الاذكياء ، وصرّح من يعرف شيئاً من الديانة الاسلامية ، بتمني الرجوع الى تعاليمها المرضية ، وفضائلها الحقيقيّة ، وصرحوا بان الرجل هو الذي اضل المرأة وافسد تربيتها وان بعض فضليات نساء الافرنج صرحت بتمني تعدد الزوجات للرجال الواحد ليكون لكل امرأة قيم وكفيل من الرجال

جاء في جريدة (لاغوص ويكلي رکورد) في العدد الصادر في ٢٠ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠١ نقلاً عن جريدة (لندن تروت) بقلم كاتبة فاضلة ما ترجمته ملخصاً :

لقد كثرت الشاردات من بناتنا وعم البلاء وقل الباحثون عن اسباب ذلك واذ كنت امرأة ترانى انظر الى هاتيك البنات وقلبي يتقطع شفقة عليهن وحزناً وماذا عسى يفيدهن بثي وحزني وتوجعي وتفجعي وان شاركني فيه الناسُ جميعاً ؟؟ لا فائدة الا في العمل بما يمنع هذه الحالة الرجسة ولله درّ العالم الفاضل (توسس) فانه رأى الداء ووصف له الدواء الكافل الشفاء وهو (الاباحة للرجل التزوج باكثر من واحدة) وبهذه الواسطة يزول البلاء لامحالة وتصبح بناتنا ربات بيوت فالبلاء كل البلاء في اجبار الرجل الاوربي على الاكتفاء بامرأة واحدة . فهذا التحديد هو الذي جعل بناتنا شوارد وقذف بهن الى التماس اعمال الرجال ولا بد من

تفاقم الشر اذا لم يبح للرجل التزوج باكثر من واحدة . اىّ ظن وخرص يحيط بعدد الرجال المتزوجين الذين لهم اولاد غير شرعيين اصبحوا كلاًّ وعالةً وعاراً على المجتمع الانسانى فلو كان تعدد الزّوجات مباحاً لما حاق باؤلئك الاولاد وبامهاتهم ما هم فيه من العذاب الهُون ولسلم عرضهن وعرض اولادهن فان مزاحمة المرأة للرجل ستحل بنا الدمار . الم تروا ان حال خلقتها تنادى بان عليها ما ليس على الرجل وعليه ماليس عليها وباٍباحة تعدد الزّوجات تصبح كل امرأة ربة بيت وأُم اولاد شرعيين »

ونشرت الكاتبة الشهيرة (مس انى رود) مقالة مفيدة فى جريدة (الاسترن ميل) فى العدد الصادر منها فى ١٠ مايو (ايار) سنة ١٩٠١ نقتطف منها ما يأتى

« لأَن يشتغل بناتنا فى البيوت خوادم او كالخوادم خير واخف بلاء من اشتغالهن فى المعامل حيث تصبح البنت ملوّثة بادران تذهب برونق حياتها الى الابد . ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف والطهارة ردأ الخادمة والرقيق يتنعمان بارغد عيش ويعاملان كما يعامل اولاد البيت ولا تمس الاعراض بسوء . نعم إنه لعارٌ على بلاد الانكليز ان تجعل بناتها مثلاً للرذائل بكثرة مخالطة الرجال فما بالنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل بما يوافق فطرتها الطبيعية من القيام فى البيت وترك اعمال الرجال للرجال سلامة لشرفها »

وقالت الكاتبة الشهيرة (اللادى كوك) بجريدة ألايكو ماترجمته :

« ان الاختلاط يأنفه الرجال ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها وعلى قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة اولاد الزنا وهنا البلاء العظيم على

المرأة فالرجل الذي علقت منه يتركها وشأنها تتقلب على مضجع الفاقة والعناء وتذوق مرارة الذل والمهانة والاضطهاد بل والموت ايضاً . اما الفاقة فلأن الحمل وثقله والوحم ودواره من موانع الكسب الذي تحصل به قوتها واما العناء فهو انها تصبح شريدة حائرة لا تدري ماذا تصنع بنفسها واما الذل والعار فاي عار بعد هذا واما الموت فكثيراً ما تمنع المرأة نفسها بالانتحار وغيره

هذا والرجل لا يلم به شيء من ذلك . وفوق هذا كله تكون المرأة هي المسؤلة وعليها التبعة مع ان عوامل الاختلاط كانت من الرجل

« أما آن لنا ان نبحث عما يخفف — اذا لم نقل عما يزيل — هذه المصائب العائدة بالعار على المدنية الغربية ؟ أما آن لنا ان نتخذ طرقاً تمنع قتل الوف الالوف من الاطفال الذين لا ذنب لهم بل الذنب على الرجل الذي اغرى المرأة المجبولة على رقة القلب المقتضي تصديق ما يوسوس به الرجل من الوعود ويمنّي به من الاماني حتى اذا قضى منها وطراً تركها وشأنها تقاسي العذاب الأليم

« ويا أيها الوالدان لا يغرنكما بعض دريهمات تكسبها بناتكما باشتغالهن في المعامل ونحوها ومصيرهن الى ما ذكرنا . علموهن الابتعاد عن الرجال اخبروهن بماقبة الكيد الكامن لهن بالمرصاد . لقد دلنا الاحصاء على ان البلاء الناتج من حمل الزنا يعظم ويتفاقم حيث يكثر اختلاط النساء بالرجال . ألم تروا ان اكثر امهات اولاد الزنا من المشتغلات في المعامل والخادمات في البيوت وكثير من السيدات المعرضات للانظار . ولولا الاطباء الذين يعطون الادوية للاسقاط لرأينا اضعاف ما نرى الآن

لقد ادت بنا هذه الحال الى حد من الدناءة لم يكن تصورها في الامكان حتى اصبح رجال مقاطعاتٍ من بلادنا لا يقبلن البنت زوجة ما لم تكن مجربة اي عندها اولاد من الزنا ينتفع بشغلهم !!! وهذا غاية الهبوط بالمدنية فكم قاست هذه المرأة من مرارة هذه الحياة حتى قدرت على كفالتهم والذي علقت منه لا ينظر الى اولئك الاطفال ولا يتعهدهم بشيء . ويلاه من هذه الحالة التعيسة . تُرى من كان معيناً لها في الوحم ودواره ، والحمل واثقاله ، والوضع وآلامه ، والفصال ومرارته » اهـ

وحاصل القول ان الرجال هم الذين اغووا النساء وافسدوهن في جميع البلاد لانهم القوّامون عليهن بمقتضى الفطرة فاما أهل اوربا فهم احياء يشعر افرادهم بامراض شعوبهم وامهم فيصيحون ويتألمون وستفتك بهم ادواء المدنية حتى تضطرهم الى معرفة سائر اصول الدين الاسلامي وفروعه وهم الآن على كثير منها وهنالك الكمال «سنُريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق » وهو الآن غير متبين لهم لما عليه من الحجب الكثيفة واكثفها المنتسبون الى هذا الدين وما هم عليه من التقاليد التي ليست منه بل هي مناقضة له . واما المسلمون فقد اصابهم خدر بطل معه ذلك الاحساس والشعور الكلي والغيرة الملية حتى كاد اليأس منهم يغلب على الرجاء فيهم لولا اننا نرى بعض الافراد ينهضون فيصيحون ويتألمون ويتوجعون ويتململون فاذا كثروا وقوي حزبهم فهم الذين يربُّون الامة ذكراناً واناثاً — يربون النفوس باداب دين الفطرة القويم ويأخذون من نتائج علوم المدنية الغربية وفنونها ما ثبتت منفعته وامنت مضرته . وكل ما اخذ به المسلمون في مدارسهم من تعليم البنين والبنات فهو ناقص وفيه مضرات

كثيرة لان زمامه ليس فى ايدى علماء الدين ولن يكون فى ايديهم الا اذا اتقنوا جميع ما يعلّم فى المدارس . ولكن العلم خير من الجهل على كل حال ، وكل هذا ممهد لما اعد لهذه الامة فى الاستقبال ، ونسأل الله التوفيقَ لحسن الخاتمة والمآل